

الإمام عبد الحي الفرنجي محلي وأعماله في الحديث

د/ محمد إرشاد الحق*

ABSTRACT:

'Allahmah 'Abdul ḥayy and His Works on ḥadīth Literature

The 'Ulamā' of the Subcontinent India and Pakistan have always shown a considerable interest towards the diverse Islamic sciences and exerted great efforts for its conservation and development since centuries. There is no doubt that this fertile land has produced great 'Ulamā' who contributed to the Islamic sciences in a considerable manner. Their skill, vision, credit and contribution admired the whole Arab and Islamic world. Among these great genius scholars is Maulāna 'Abdul ḥayy Firangi Mahall¹, who has written hundreds of books on many Islamic sciences and most of them are in manuscript form, and his contribution to Islamic sciences in general and to ḥadīth literature and fiqh (Islamic jurisprudence) is of special importance.

In this direction, this paper makes an attempt to enlighten many aspects of his personality and explores his scholarly contributions to Islamic sciences with special focus on his works of ḥadīth literature. It argues that Maulāna has significant caliber of ḥadīth literature and its principles and has touched some important aspects of ḥadīth. If these manuscripts are edited and published, it will be a good addition to the field. The paper mainly reviews his ḥadīth works from original manuscript sources that are available in the Maulāna Library of Aligarh Muslim University.

Key words: 'Allahmah 'Abdul ḥayy Firangi Mahall¹, ḥadīth Literature, Subcontinent, India, Historian.

هو العلامة العملاق والفقير البارع عبد الحي بن عبد الحلیم بن أمین الله بن محمد الأكبر بن أبي الرحم بن محمد يعقوب بن عبد العزيز بن أحمد سعيد بن ملا قطب الدين الشهيد الأنصاري السهالي اللكنوي الفرنجي محلي¹ ولد في الأسرة العلمية الأنصارية العريقة التي تنتسب إلى الصحابي الشهير أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه، وأنجبت هذه الأسرة علماء كباراً عبر القرون، ولد العلامة المذكور في بلدة "باندة" عندما كان والده مدرساً في مدرسة الأمير النواب ذو الفقار الدولة، فكانت ولادته في يوم الثلاثاء من 26 ذي القعدة سنة 1264 للهجرة.²

* محاضر بكلية لارنو كوكرنالك التابعة لجامعة كشمير

نشأته وثقافته:

نشأ العلامة عبد الحي في أسرة علمية دينية معروفة وترعرع في حضن أمه التي كانت نفسها عالمة تقية فكانت أحسن مربية دينية له،³ مال العلامة إلى العلم منذ نعومة أظفاره كعادة العظماء والعباقرة والأمثال وعلماء الزمان، وتثقف تحت ظل أبيه وعنايته، ثم إهتم بالقرآن حتى حفظه وهو دون عشر سنين من عمره، ثم التفت إلى الكتب الدراسية المشتملة على علوم شتى معقولة ومنقولة، وتفرغ منها وهو دون السابع عشر من عمره، كان من أسباب براعته ونبوغه في المعقولات والمنقولات هو أنه كان كلما يتفرغ من دراسة أي كتاب يدرسه الآخرين، وبذلك نضجت قريحته مسرعة، وحصل على الاستعداد الكامل في جملة العلوم والفنون بأقل وقت، كان شغوفاً بالدرس والتدريس والتأليف منذ باكورة عمره فما كان يجد كتاباً إلا ويقرؤه ثم يدرسه الآخرين.⁴ وكان له مقدرة كبيرة وتجربة واسعة في التدريس حتى كان جميع تلاميذه متأثرين بطريقة تدريسه، ولقد استفاد الإمام اللكنوي خلال الهدية التي قضاه في حيدرآباد من تجاربه ومهارته وتجاربه فيما يتعلق بأساليب التدريس وصعوباته، فأعانت هذه التجارب على القيام بالأعمال النبيلة القيمة في تأليف الكتب وإعدادها في مختلف مجالات العلوم الإسلامية.

سافر العلامة مع والده إلى إقليم "دكن" سنة 1277 للهجرة حيث استقبلهما النواب شجاع الدولة مختار الملك تراب علي خان (ت، 1300هـ) استقبالا حاراً ووقرها توقيراً بالغاً، ثم قرّر عبد الحي مدرساً رئيسياً في المدرسة النظامية، فكان من الطبيعي أن ينتهز الإمام هذه الفرصة الذهبية للاستفادة المتزايدة من الوالد وإفادة الطلاب الآخرين في آن واحد.

أبتلي العلامة عبد الحي في حياته بمرض شديد ثلاث مرّات، أولاً حين عاد من الحج الثاني، فأقام بالوطن وأصابه حينئذ مرض شديد حتى انقطع الرجاء عن حياته، وكان مصاباً وقتئذ بإسهال وتحم، ولم يشخص أحد من كبار الأطباء أسباب هذا المرض، بل إنهم ملّوا عن مداواته، فداواه أخيراً الحكيم محمد باقر وهو طبيب من أهل التشيع، فعادت صحة العلامة بمعالجته إلى حد الطمأنينة، واشتفى من هذا المرض بعون الله تعالى،⁵ ثم لحقه المرض مرة ثانية في سنة 1202 للهجرة خلال إقامته بحيدرآباد حيث ذهب للحضور في حفلة، فعادت صحته مسرعة بهذه المرة أيضاً، واشتفى بعد قليل، وكذلك أصيب بداء شديد بالمرّة الثالثة، ولكن قضى عليه بهذه المرّة وانتقل إلى رحمة الله، وكان وقتئذ في بيته بمدينة لكانا، ولم يكن يتجاوز وقتئذ تسعة وثلاثين من عمره، ويقول العلامة البندوي إنه اشترك في صلاة جنازته نحو عشرين ألفاً من الرجال أو أكثر،⁶ وشاع خبر وفاته مثل العاصفة في البلاد ويقع ضريحه في حديقة أنوار الحق.

كان العلامة المذكور فخر المتأخرين، ونادراً المحققين، صفوة المصنفين، والمحدث، والأصولي، والمنطوق، والمتمكلم، والمؤرخ، والنظار، والبحاث، والنقادة، والإمام، والفقهاء، والأديب، والفلسفي، واللغوي، وجميع هذه الملامح تحوي شخصيته، وكان أحب العلوم إليه الحديث الشريف وما إليه من العلوم المنقولة، غير أنه كان متفوقاً في العلوم العقلية أيضاً، وقد صرح عن نفسه أنه يحسن في تدريس الحديث الشريف والتصنيف لذة وسروراً ما لا يجده سواه في سائر العلوم والفنون الأخرى، وكان ذا فتوح ربانية عظيمة في المسائل المعضلية والقضايا الدقيقة المشتبكة، ويقول نفسه: "ومن منح الله تعالى أنه جعلني سالكاً بين الإفراط والتفريط لا تأتي مسألة معركة الآراء بين يدي إلا ألهمت الطريق الوسط فيها ولست ممن يختار الطريق التقليد في البحث بحيث لا يترك قول الفقهاء وإن خالفته الأدلة الشرعية ولا ممن يطعن عليهم ويهجر الفقه بالكلية، وما كان من المسائل يخالف الحديث الصحيح الصريح أتركه وأظن المجتهد فيه معذوراً بل مأجوراً، ولكني لست ممن يشوش العوام الذين هم كالأنعام، بل أتكلم بالناس على قدر عقولهم".

إسهاماته العلمية:

أسهم الشيخ العلامة عبد الحي إسهامات قيمة في العلوم الإسلامية المتنوعة وترك خلفه كتباً موفورة في كل فن من الفنون الإسلامية التي تدل دلالة واضحة على سعة علمه ورجاحة عقله وعمق فكره وتبحره في العلوم، وإذا ذكر المصنفون ذوا مؤلفات يتجاوز عددها مائة كتاب فإن العلامة المذكور في طليعتهم ومقدمتهم بلا مدافع، وإذا قيست كثرة مؤلفاته بجانب عمره القصير الذي كان نحو 39 سنة فقط، فيبدو أنها كثيرة كثيرة جداً، ونال معظم هذه التأليفات شهرة واسعة بين الأوساط العلمية في العالم الإسلامي كله، واعترف بفضلها بعض كبار علماء العرب ويستفيد من فيضاتها الدارسون إلى يومنا هذا، ومن ثم يقول الباحث العربي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة نحو:

يعترف كل من ينظر في تأليف الشيخ عبد الحي أنها تستوفي التحقيق العلمي الناصح، وتحوي النقول النادرة الفاصلة والإستيعاب لكل ما في المسئلة أو الباب حتى كأنه تخصص طوال عمره في الموضوع الذي يبحثه لا غيره.⁷

وكذلك يظن السيد سليمان الندوي أنه أول من ابتكر أسلوباً جديداً في الهند في تحقيق الكتب والتعليق عليها حيث إهتم بأمرين، الأول: كتابة المقدمة في بداية الكتاب، فلا يوجد هذا الشيء قبله عند أحد من العلماء في شبه القارة الهندية، فكان هذا عملاً ابتكارياً منه في المجال العلمي، والثاني كان يستخدم في تحقيق الكتب والتعليق عليها أكثر من نسخة ثم يقابل ويقارن بينهما مقارنة علمية دقيقة ثم يدون في الأخير نسخة

تحقيقية صحيحة متداولة، وعلى سبيل المثال إنه حَقَّق على المؤطال لإمام محمد في سبع نسخ ولم يكتب بذلك بل كان يقوم بعملية الطباعة نفسه حذراً من الأخطاء المطبعية.⁸ وكان شغوفاً بالتأليف إلى منتهاه حتى ألَّف كتاباً غير قليلة خلال أسفاره فقط، فكان يصنّف ويكتب في الحلّ والترحال، ومن اللافت للنظر هو أنه بدء تأليف الكتب منذ باكورة عمره، فكان من عمره الثاني عشر حين ألَّف كتابين بالفارسية وهما "امتحان الطلبة في الصيغ المشكّلة" و"التبيان في شرح الميزان"،⁹ ولقد أعطاه الله تعالى ذوقاً مرهفاً وحساً علمياً نقياً، ودقة نادرة في الفهم، وقوة بالغة في الحفظ وقدرة عجيبة في التأليف بأسرع وقت وأنصح أسلوب حتى إنك لا تكاد تلمح في كلامه أثر العجمة مع أنه هندي الدار والمولد واللغة، ولا يمكن أن تشكّ مرة واحدة في ذوقه فيما يكتب أو ينقل أو يناقش حتى في ثورته على مناوئيه ومخالفيه، ويتجلى لك من أسلوبه إلتزام الأدب وتحكيم العلم في ميدان المناقشة غير السفسفة والإقذاع، وكان له حرص نادر بالغ في الإستفادة من الوقت، وإنك لتدهش حين تراه مثلاً في كتابه "الفوائد البهية في تراجم الحنفية" يعدّ مؤلفات العلماء، ثم يترجمهم ثم يقول: طالعت من كتبه كذا وكذا، ثم يسرد كتباً كثيرة للمراجعة، وإن مما يلاحظ القارئ في كتبه أنه لا يبجو فيها أثر العجمة أو الاستعلاء أو انتفاخ في العلم، بل يلمس فيها القاري مسحة التصوف الرقيق البصير، والتواضع الجم النبيل، المصحوب بالعلم والأدب الشرعي الحنيف، ألَّف كتباً كثيرة وإذا قيست كثرتها بجانب عمره القصير الذي كان نحو تسع وثلاثين سنة فحسب، فإنها تبدو كثيرة جداً".¹⁰

وقد كان لدى العلامة عبد الحري مكتبة شاملة عامرة غنية في كل فن وعلم وتبدو ضخامتها واستيعابها من تأليفه بل حسبك شاهداً على هذا كتابه "الرفع التكميل"، ومع أن هذا الكتاب صغير في حجمه ولكنه كبير في فوائده وفرائده، واستقاه من نحو 150 كتاباً تقريباً، وقد أهديت هذه المكتبة بعد وفاة سبطه الشيخ محمد أيوب لمكتبة مولانا آزاد بجامعة عليكره الإسلامية، وقد إكتحلت عيناى ببعض تلك الكتب النفسية مراراً وتكراراً بالمكتبة المذكورة.

والآن نستعرض المحاولات التأليفية والتصنيفية التي أنجزها العلامة عبد الحري في مجال الحديث:

1- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعية:

تفرغ الإمام عبد الحري من تأليف هذا الكتاب في رجب سنة 1303 للهجرة، وقد ذكر نفسه عن سبب تأليفه في بدايت الكتاب، فقال إنه بدء يدوّن في يوم من الأيام رسالة شاملة في الأحاديث الموضوعية تأييداً للشريعة المرفوعة، وقصداً لجمع ما اتفق المحدثون على الوضع وما اختلفوا فيه مع ذكر الأسباب والأدلة خلفه، ولكن لم يتيسر له إتمام هذه الرسالة بسبب اشتغاله نحو إعداد كتب أخرى¹¹

ويبدو من قوله إن الإمام اللكنوي كان يريد بتأليف كتاب شامل في هذا الباب ولكن أوجزه ببعض الأسباب والعلل المجهولة على الأحاديث المتعلقة بالصلوة، وكذلك كتب في موضع آخر أنه جرت بينه وبين بعض أعزائه مناقشة ومناظرة لطيفة حول يوم عاشوراء في 1303 للهجرة، ثم سأله بعض الناس عن كمية وكيفية صلوة يوم عاشوراء وما كُنْ تب عليها من ثواب وجزاء، فكان جواب الإمام عبد الحلي أنه لا توجد في أية رواية محكمة موثوقة كمية الصلوة المعينة أو كيفيتها في هذا اليوم، وكل ما يذكر إنما هو شائعات وضعية ليست وراءها حقيقة واضحة في أصول الدين الإسلامي، وفي نفس الحين أراد الإمام أن يؤلف رسالة خاصة في الأحاديث الموضوعية، فألف هذا الكتاب واقتصره على الأحاديث الموضوعية في صلوات أيام السنة ولياليها موضعاً اختلافها ووضعها ليتنبه به العلماء والدارسون ولستفيدوا منه إستفادة تامة.¹²

والآن اتضح وضوح الشمس أن العلامة عبد الحلي كان يهدف بهذا التأليف إبطال البدع السائدة في المجتمع آنذاك لاسيما في صلاة يوم عاشوراء وغيرها من الأيام السنوية التي لم تثبت في الآثار والنصوص الإسلامية الأصيلة والصحيحة، وطبع هذا الكتاب في عدّة بلاد غير الهند، كما حقّق وعلّق عليه محمد بسيوني زغلول، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت سنة 1404 للهجرة.¹³ استهّل المؤلف في هذا الكتاب كعادته في بقية مؤلفاته بالحمد والثناء في أسلوب علمي رصين وها هو ذا نموذج:

الحمد لله الذي أخرج عباده من شفا حفرة من النار ببعثة خاتم
أنبياءه وسيّد أصفياه الأخيار، وهدى به الفرق الباغية والطوائف
الطاغية من الكفار والفجار، وفضّل أمته بالأمم الماضية، فيا لهم من
عزّ وافتخار، ووهب لهم علماً غزيراً وفهماً كبيراً فاقوا به على من
مضى من الصغار والكبار... الخ.¹⁴

وبعد ذلك يذكر المؤلف دواعي تأليفه وما جرت بينه وبين أصدقائه من المناظرات والمناقشات التي مرّ بنا ذكرها سابقاً، ثم يورد الإمام أحوبة عن الأحاديث التي نظن أنها موضوعية في بعض كتب أئمة الصوفيين مثل الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهما.¹⁵ ثم يأتي بذكر أقسام الوضّاعين وأنواعهم موجزاً والتي يبلغ عددها إلى سبعة أقسام، ثم يستعرض أغراض الوضّاعين ودوافع وضعهم فيوزّع هذه الأسباب في ثمانية أقسام مع تحليل وتوضيح شامل. وما يجدر بالملاحظة هو ما ذكره اللكنوي في مقدمة هذا الكتاب حيث يقول:

نقدّم مقدمة تشتمل على ذكر أحاديث الترهيب عن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر بعض القصص الموضوعة والحكايات الكذبة مما أروع العواظ بذكرها في مجالسهم ومحافل وعظهم، والعوام يعتقد صدقها عند سماعها، وكذلك يشتمل على ذكر حكم نقل الأحاديث الموضوعة وروايتها والعمل بها، كما عرض بعد ذلك الأحاديث المقصودة ذكرها مع ما لها وما عليها من الأحكام عند الإيقاظيين، وكذلك تنته ي الرسالة بخاتمة تشتمل على كثير من الصلوات المسطورة في كتب المشائخ المهتدين مع ما ورد فيها عن الوضع.¹⁶

ويكشف العلامة عبد الحري في هذا الكتاب ثمانية أقسام من الوضّاعين ثم يعرض كل منها منفصلاً بالشرح الوافر على نحو ما يري:

النوع الأول قوم من الزنادقة وهم يقصدون إفساد الشريعة وإيقاع الفساد في الأمة وقد شبههم اللكنوي باليهود والنصارى الذين احترقوا الكتب الإلهية، والنوع الثاني هو قوم يقصدون وضع الأحاديث زهواً وتأييداً لمذاهبهم، وقد حلل ذلك المؤلف بتحليل بسيط وأمثلة وافية، والنوع الثالث قوم يضعون الأحاديث ترهيباً وترغيباً ليحثّ بها الناس على الخير والصواب وقد أفهمهم بأمثلة كثيرة، والنوع الرابع قوم استجازوا وضع الأسانيد لكل كلام حسن ظناً من أن الحسن كله أمر شرعي، ولا حاجة لنسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والنوع الخامس قوم حملهم على الوضع غرض من أغراض الدنيا كالتقرب إلى السلطان أو حصول الثروة أو نيل الشهرة والصيت وغيرها، والنوع السادس قوم حملهم على الوضع التعصب الديني والتجمد التقليدي، والنوع السابع قوم حملهم على الوضع عشق الخلق وجنونه الذي أعماهم وصمّمهم تماماً، ومن أمثالهم قوم وضعوا الأحاديث عن أهل البيت، والنوع الثامن قوم وضعوا الأحاديث هدفاً منه الإعجاب والإغراب وهذا النوع يحوي كثيراً من أقسام القصّاصين والعواظ.

وبالجملّة أقول إن هذا الكتاب فريداً في بابه وممتازاً في موضوعه، ولا بد لكل من يهتم بالعلوم الإسلامية وخاصة بالحديث أن يطالعه.

2- التعليق الممجد على مؤطا الإمام محمد:

سمّاه العلامة عبد الحري "التعليق الممجد على مؤطا الإمام محمد" إلا أن الكتّاني صرّح

عنوانه "حاشية الإمام اللكنوي على مؤطا الإمام محمد بن الحسن"،¹⁷ ونشر الكتاب غير مرّة في الهند باللغة الفارسية.

تفرغ العلامة من تأليفه عام 1295 للهجرة، وطبع أول مرّة بالمطبع المصطفائي بلكناؤ سنة 1297 للهجرة ثم أعيدت طباعته سنة 1306 للهجرة من نفس المطبعة، كما طبع مرة أخرى بالمطبع اليوسفي بلكناؤ سنة 1346 للهجرة، وكذلك طبع أخيراً سنة 1412 للهجرة بدار القلم بدمشق مع تحقيق الدكتور تقي الدين الندوي أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الإمارات.

وهذا الكتاب حقاً شرح رائع يتجاوز مقداره من المتن الأصل ي أضعافاً مضاعفاً، ومن اللافت للنظر هو أن المؤلف أوضح فيه اختلاف المذاهب وتضادها بتقديم الأدلة القوية والشهادات القيمة، وقد تلقى هذا الكتاب قبولاً فائقاً بين الدارسين والقراء والعلماء حتى طبع بعد ذلك مع المؤطا الأصلي للإمام محمد غير مرة بشبه القارة الهندية.

فالكاتب يتناول في بدايته بعض الأمور والملاحظات الهامة التي تمثل غاية أهميته، ولاشك أن الكتاب ينفرد ويمتاز بكثرة فوائده التي يحتاج إليها العلماء والدارسون من حين إلى حين ليتيسر لهم توضيح معاني الحديث وحلّ مشكلاته وضبط مصطلحاته المعقدة الغامضة، وعلم أسماء الرجال، وتراجم الرواة وما يتعلق عنها من التوثيق والتضعيف وغيره، فهذا الكتاب يحوي فوائدها¹⁸ وقد لاحظ الإمام عبد الحي أموراً كثيرة في هذا الشرح القيم وذكر بعضها في مقدمته، والأول منها أنه لم يبال لإعادة بعض المطالب والأهداف المفيدة التي وردت في مواضع متعددة فيه ظناً أن الإعادة لا تخلو من الإفادة، غير أنه كلما أعاد أمراً أضاف فيه فائدة بطريق ما، والثاني أنه التزم بشرح مذاهب الأئمة المختلفة مع الإشارة إلى دلائلهم بقدر الضرورة، وترجيح بعضهم على البعض، وهذه الطريقة طريقة إبداعية تحقيقية قلما توجد عند بقية معاصريه من المحدثين، والثالث أنه أسند على البلاغات والأحاديث المرسلة ورجح الموقوفة بالمرفوعة، والرابع أنه أكثر من ذكر مذاهب الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة والمجتهدين والفضلاء، والخامس أنه ذكر تراجم الرواة وأحوالهم وما يتعلق بثقتهم وضعفهم دون أي تعصب مذهبي أوحمية جاهلية، وربما يوجد فيها التكرار ولكن هذا التكرار لا يخلو من فائدة متزايدة، والسادس أنه وجد بين نسخ المؤط أ اختلافاً كثيراً، فعالج هذه الاختلافات حازماً وشرحها مفصلة، ثم قام بتمييز بين الصحيح والقبیح دون أي اعتساف. والسابع أنه نبّه على السهو والزلات التي يرتكبها الدارسون أثناء شرح المقصود ونقد الرواة خوفاً من أن يرتكبها أحد ممن ليس له حظ في هذه الفنون.

فانضح الآن أن هذا الكتاب لا يخلو من كثرة الفوائد الغالية ربما يحتاج إليها العلماء

والدارسون بل كل من يهتم بعلم الحديث، كما تلقى هذا الكتاب تقديراً كاملاً وتبجيلاً كبيراً وقبولاً جيداً بين الأوساط العلمية وحلقات العلماء، واستفاد منه الكثير من العلماء البارعين مثل الشيخ خليل أحمد السهارةنفوري (ت1346هـ) والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف والشيخ محمد يوسف البنوري والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وغيرهم واستفادوا منه في أثناء ترتيب كتبهم في الحديث،¹⁹ ومن ثمّ حين رأى الشاذلي هذا الكتاب اقترح أن هذا الشرح من أحفاد الشرح، مسحون بعيون المسائل وقدمه بمقدمة أودع فيها فوائد منفردة عديدة له.²⁰

3 _ الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة:

ألّف العلامة عبد الحري هذا الكتاب في ذي الحجة من سنة 1291 للهجرة، وقد نُشر عدّة مرّات في الهند، وطُبع أولاً بالمطبع المصطفائي بلكنائ سنة 1299 للهجرة، ثم حَقّق وعلّق عليه الشيخ عبد الفتاح أبوغدة ونُشر بمكتب المطبوعات الإسلامية بجلب سنة 1386 للهجرة، وقد أضاف حقاً هذا التحقيق والتعليق أهميته للغاية.

يشتمل الكتاب على مباحث علمية عميقة، والأسلوب الذي إختار فيه المؤلف هو أسلوب سهل لطيف جاذب، كما يقول نفسه في مستهل الكتاب بلّنه أعدّها لنفائس غريبة، فتناول فيه الأجوبة عن الأسئلة العشرة التي سأله عنها بعض العلماء الكبار من أفاضل الدهر، وأمائل العصر المنتمين إلى مدينة "لاهور" وكان نفسه يسكن حينئذ ببلدة "حيدرآباد"، وهذه الأجوبة العشرة أفادت الموضوع غاية الإفادة من متعدد النواحي، ومن جهة أخرى إنّها تمثّل وتضئ شخصية العلامة عبد الحري وبراعته وتبحره وسعة نظره في العلوم ولا سيما في الحديث، أما الأسئلة التي أجابها العلامة فهى تتعلق عن مثل درجة الأحاديث الواردة في السنن وغيره من الكتب المشهورة، والعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وموقف العلماء عند تعارض الأحاديث وهل يقدّم النسخ على الجمع؟، وهل يقدم الجمع على الترجيح أم يقدم الترجيح على الجمع؟، وما هي أوجه الترجيح؟ وموقف العلماء من رواية الراوي إذا ترك العمل بظاهر روايته، وهل يتوقف عن قبول الحديث الصحيح إذا عارض قول الصحابي أو فعله؟

والباحث الكبير الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يقول إن هذا الكتاب يتضمن أبحاثاً جامعة محررة شاملة متفكّة لم ينهض لكتابتها أحد من قبله، فهذا الكتاب في طليعة كتب العلامة عبد الحري المثالية الزائدة وقد سدّ هذا الكتاب شاغراً كان الزمان ينتظر لمسدها.²¹

4 - الرفع والتكميل في الجرح والتعديل:

هذا كتابٌ موجزٌ متداولٌ يجتالُ الجهات المختلفة لأصول الحديث، وقد ألفه العلامة في ذي القعدة سنة 1301 للهجرة، وطبع عدة مرات في الهند وخارجها في البلاد العربية، كما طبع أخيراً بـ"حلب" سنة 1383 للهجرة بعد أن حَقَّق وعلق عليه الباحث السوري الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وطُبع مرة ثانية بنفس البلاد سنة 1380 للهجرة.

استهل المؤلف في المقدمة ببيان سبب تأليفه وصرَّح أنه إذا رأى كثيراً من علماء عصره يمشون في متن النص خبط عشواء كأنهم الجباري في الصحارى والسكاري في الصحارى، فدفعه هذا الشيء إلى تأليف هذا الكتاب رداً لهم وتنبهياً لما يهاونون بهذا الأمر، ثم أراد أن يدوّن بهذا الصد رسالة شاملة يعالج فيها المسائل المختلفة التي تتعلق بالجرح والتعديل والمناهل المربوطة بأئمة الجرح والتعديل لتكون هذه رسالة هادية رائدة إلى الطريق النقي الصافي الصواب.²²

فالكتاب طبعاً ذو أهمية قصوى وقد تلقى قبولاً مهجوراً بين الأوساط العلمية واعترف بفضلته وأهميته علماء كبار كما يعدّ من ناحية أخرى من أهَمّ المراجع والمصادر الموجودة في علم الجرح والتعديل، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذا الكتاب در باهر من درر الإمام عبد الحي العلمية، ويمتاز بميزات متعددة من بقية إنتاجاته العلمية، والمنهج التحقيقي الذي التزمه فيه المؤلف منقطع المثال ما لا بد لكل من يه به بعلوم الخ ديث أن يطالع²³، فالكتاب حقاً يسدّ الحاجة المسيسة في وقت ملائم لأن المؤلف دونه عندما رأى كثيراً من الناس حتى العلماء يناقشون ويتكلمون في الجرح والتعديل غافلين عن الكثير من مصطلحاته ومبادئه الأساسية المعروفة عند أئمة هذا الشأن حتى أنهم لا يعلمون الفرق بين الجرح المبهم والجرح غير المبهم وبين ما هو مقبول وما هو غير مقبول عند الفقهاء المعتمدين، ولا يعلمون مراتب الأئمة، وتشتمل مقدمة الكتاب على ثلاثة إيقاظات يذكر فيها المؤلف ملاحظات وتجارب هامة في هذا المجال، ثم يعالج مشروعية الجرح وعلله حيث أثبت بالأدلة القيمة أن الجرح ضرورة شرعية ما لا بد منه ثم يذكر شروط الجرح والمعدل وآدابه وما يجب له بالإهتمام، ثم يعرض أربعة مراصد، والمرصد الأول يضيئ الجرح والتعديل وما يقبل فيهما وما لا يقبل، ويتناول المؤلف هناك أقوالاً وآراءً كثيرة في قبول الجرح، والمرصد الثاني يتناول مسألة تقديم الجرح والتعديل والتعارض بينهما بالتفصيل، والمرصد الثالث يشرح ألفاظ الجرح والتعديل ومصطلحاتها ودرجتهما عند المحدثين والنقاد، والمرصد الرابع يعرض فيه المؤلف فوائد مهمة حول كتب أسماء الرجال وأخبارهم وغيرها من الإصطلاحات الحديثة وبسط فيها الكلام وقسمها في واحد وعشرين إيقاظاً.

وبالجملة أقول أن الكتاب يجوي حقاً فوائد جيدة مهمة ما لا غنى عنها لكل باحث أو محقق من يهتم بأصول الحديث، وأنه طبعاً يشفي غليل الدارسين والقراء بكل المعنى، ومن ثم اقتراح الباحث الشامسي الكبير عبد الفتاح أبو غدة عن هذا الكتاب نحو: "هو أول كتاب في موضوعه ولم يطرق هذا الباب

أحد من قبله على تمادي العصور ووفرة الحفاظ والنقاد والمؤلفين في علوم الحديث".²⁴

5 - زجر الناس على إنكار أثر ابن عباس:

هذه الرسالة ملحقة بمجموعة الرسائل الخمس للعلامة عبد الحري من رقم الصفحة 100 إلى الآخر، وطبعت لأول مرة في المطبع البيوسفي بلكنائو في ذي الحجة سنة 1337 للهجرة، وتفرغ المؤلف من تسويدها في 29 ذي القعدة سنة 1292 للهجرة وكان حينئذ في مكة المكرمة، تشتمل الرسالة على بحث أثر من آثار عبد الله بن عباس ذكرها في تفسير الآية التالية من سورة الطلاق : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾.²⁵

أما أثر ابن عباس الذي ورد بهذا الصدد هو نحو: "سبع أرضين، في كل أرض نبيّ كنبئكم، وآدم كآدمكم، ونوح كنوحكم، وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى".

يطلق بعض العلماء على هذا الأثر بالضعف والوضع، ويعدونه ضعيفاً موضوعاً، وبعضهم يعدونه منقولاً من الإسرائيليات، والبعض يعترضون عليه بطرق أخرى، ولكن المؤلف يعدّ هذا الأثر صحيحاً، وبذلك نراه يدافع عن أسناده وروايته في الباب الأول حيث يحاول إزالة الشبهات والشكوك المتعلقة عن أسناده وروايته، والباب الثاني من الكتاب يحوي معنى الأثر والنقاط الملحوظة فيها، أما الخاتمة فيتم فيها المؤلف كلامه على النحو التالي:

هذا آخر الكلام من هذا المقام وكان الإختتام يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ذي القعدة من أشهر السنة الثانية وتسعين بعد الألف والمأتين من الهجرة بمكة المكرمة.

وبالجملة يمكن لنا بالقول إن المؤلف حاول في هذه الرسالة النادرة بإثبات أثر ابن عباس المذكور صحيحاً من ناحية المتن والسند واللفظ والمعنى بل من كل النواحي المطلوبة.

6 - شرح الحصن الحصين للكنوي:

ألف الإمام عبد الحري هذا الشرح أيضاً و عنوان الكتاب الأصلي الكامل هو "الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين" للشيخ شمس الدين محمد بن الجزري وهو أشهر مؤلفاه وشرحه الإمام عبد الحري للكنوي بكون أي تمهيد أو تقديم، ولم يذكر فيه سبب تألي فه كما كان عادته في جميع مصنفاته، إلا أنه أورد حياة الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن الجزري في آخر الكتاب، ثم عرض عقبها هامش المراجع والمصادر، ويشتمل هذا الشرح على 252 صفحة بالتقطيع الكبير.

طبع الكتاب أول مرة بمطبعة "نجم العلوم" بلكناؤ سنة 1278 للهجرة، ثم أعيدت طباعته بنفس المطبع سنة 1306 للهجرة، شرح الإمام عبد الحي اللكنوي فيه الألفاظ ومعانيها من الناحيتين اللغوية والشرعية، وحاول إزالة الشبهات المتعلقة بكلمات الحديث ومصطلحاته كما قارن من جهة ثانية بين الآراء لمن سبقه من العلماء وقد لاحظ في هذا الشرح النقاط التالية.

الأولى: شرح الألفاظ ومعانيها لغة وشرعاً

والثانية: جمع نسخ الكتاب المذكور ثم المقارنة بينها

والثالثة: عزو الأحاديث إلى مصادرها إذا استدعى إليها الأمر

الرابعة: إزالة بعض الشبهات المتعلقة بكلمات الحديث واصطلاحاته

الخامسة: نقل الآراء لمن سبقه من العلماء في شرح الكتاب

ومن أهم ما يحكي عن هذا الكتاب هو أن العلامة اللكنوي كان يقدم المراجع والمصادر لكل ما ينقله من آراء العلماء وأقوالهم وإقتراحاتهم، فهذا يدل دلالة واضحة على أمانته العلمية، غير أن شرحه هذا يمتاز بين بقية سائر شروح هذا الكتاب بما أضاف فيه المؤلف من الفوائد القيمة الغالية الوافية التي لا توجد في غيره من الشروح، والمنهج الإبداعى الذي إختار فيه العلامة هو حقاً جديد وتحقيقي جدير بالثناء.

7 - ظفر الأماني في مختصر الجرجاني:

كان السيد شريف من أعلام القرن الثامن للهجرة، وألّف كتاباً مختصراً في أصول الحديث وسمّاه "المختصر في علوم الأثر"، فتناوله بعد ذلك الإمام عبد الحي الشرح القيم بعد خمسة قرون من زمنه، وسمّاه "ظفر الأماني في مختصر الجرجاني" واستكمل إعداد هذا الشرح قبل وفاته بقليل سنة 1304 للهجرة.²⁶

يذكر المؤلف إسماً آخر لهذا الكتاب في كتابه الآخر "مقدمة عمدة الرعاية" وهو "ظفر الأماني بشرح المختصر المنسوب إلى الجرجاني"، والذي أتبعه بعد ذلك تلميذه محمد عبد الباقي الفرنجي محلي والمؤرخ الشهير عبد الحي الحسني.

وطبع هذا الكتاب سنة 1304 للهجرة بمطبعة جشمة فيض في لكاناؤ، ومخطوطته موجودة بقلم المؤلف في مكتبة آزاد بجامعة عليكره الإسلامية.

يستهل المؤلف في مقدمة الكتاب بسبب تأليفه فيقول:

إن أجل ما صنّف في علم أصول الحديث من المختصرات هو المختصر المنسوب إلى الفاضل النبيل والعالم الجليل، الجامع بين المنقول والمعقول، الحاوي على الفروع والأصول، سيد فضلاء دهره وسند علماء عصره الشيخ السيد على الشريف الجرجاني، تروح روحه بالكرم الرياني، لذلك تراه اشتهر كاشتهار الشمس في رابعة النهار وطار صيته في الأمصار كالطائر في الأقطار ورأيت الناس في هذا الزمان قد اشتغلوا بدرسه وتدرسه ولم أر له شرحاً يكفي لحل جليه وخفيه، فألهمني الله تعالى أن أكتب له شرحاً حاوياً لأصول المطالب، وافياً بتحقيق المآرب، وذلك حين جاء بعض المترددين إلى قراءة المختصر المذكور عليّ.

فاتضح لنا مما سبق وضوحاً تاماً أن العلامة عبد الحي ألف هذا الكتاب بالسبيين الرئيسين: والأول أن الكتاب "مختصر الجرجاني" كان بحاجة ماسة إلى حلّ الغوامض والأسرار، والثاني أن العلامة اللكنوي كان يحسّ ويشعر مدى الاختصار في كتاب "نزهة النظر" لإبن حجر العسقلاني، ومع أن الكتاب يُعتبر من أهم الكتب المؤلفة في أصول الحديث، ولكن غليل الطلبة لا يروي بسبب إيجازه الأكيد، فأراد العلامة عبد الحي أن يشرح متن الجرجاني ليكون حاوياً على التحقيقات النفيسة، وجامعاً لفوائد علم أصول الحديث من دون تطويل مملّ ليعمّ النفع به.

وعلى الرغم من أن الإمام عبد الحي قام في هذا الكتاب بشرح قيم متداول ممتاز لـ "المختصر في علوم الأثر" كان مع ذلك بمسيس الحاجة إلى المزيد من التحقيق والتعليق والتصحيح وتحليل كل ما كتبه فيه العلامة عبد الحي، فقام بأداء هذه المسؤولية سعادة الشيخ المحدث العلامة تقي الدين الندوي وأداها بأحسن أسلوب يجدر بالمدح والثناء نظراً إلى ما وقّف إليه النظر العميق والإعتناء البالغ، وجاء تحقيقه في أحسن أوانه وأفضل زمانه، تلقاه الناس بقبول حسن، وقامت بطباعته ونشره مؤسسة الريان في بيروت وطبعه بطبعة أنيقة، ولما إستلم هذا الكتاب معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن الترك ي الأمين العام لرابطة العالم الإسلام ي بمكة المكرمة، كتب إلى سعادة الشيخ العلامة تقي الدين الندوي رسالة جاء فيها:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فقد تلقّيت نسخة من كتاب ظفر الأمامي في مختصر الجرجاني للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، وإذا اشكر لهم هذا الإهداء،

أقدر ما بذل في التحقيق والتخريج والتعليق من جهد متميز و أسأل
الله للجميع للعود والتوفيق.

وكذلك جاء في رسالة أخرى لمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي نائب الأمين العام
لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي حفظه الله تعالى،
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقد تسلّمت كتاب "ظفر الأمانى في مختصر الجرجاني" للإمام أبي
الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، اشكركم على إرساله وقد تصفّحته
واستعرضت تحقيقكم له وما علقتم به عليه من فوائد وفرائد علمية مهمة،
أثابكم الله وزادكم من التوفيق إذ وجدت عملكم فيه بارزاً.

الهوامش والمصادر

- ¹ الحسيني، عبد الحي. نزهة الخواطر ومهجة المسامع والنواظر. ط: 1: 1390هـ، دائرة المعارف، الهند، 234/8
- ² عبد الحي. مقدمة السعاية في كشف ما في الشرح الوقاية. ط: 1307هـ، المطبع المصطفائي بلكناء،
ص41؛ عبد الحي، العلامة. النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير . ط: 1874هـ، المطبع
المصطفائي، الهند، ص150
- ³ عبد الباقي، محمد. حسرة الفحول بوفاة نائب الرسول. ط: 1305هـ، مطبعة أنوار محمدي، ص3
- ⁴ مقدمة السعاية في كشف ما في شرح الوقاية، ص41
- ⁵ البندوي، محمد حفيظ الله. كنز البركات في سيرة مولانا أبي الحسنات. لكناء، الهند، ص33
- ⁶ المصدر السابق، ص36؛ وانظر: نزهة الخواطر للعلامة عبد الحي، (المذكور)، ص239
- ⁷ أبو غدة، عبد الفتاح. مقدمة التعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة . ط: 3: 1384هـ، مكتبة
المطبوعات الإسلامية بحلب، ص16
- ⁸ الندوي، السيد سليمان. علم الحديث بالهند. لكناء، الهند، ص63
- ⁹ النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير، ص151
- ¹⁰ أبو غدة، الشيخ عبد الفتاح. مقدمة التعليقات الحافلة الأسئلة الكاملة . ط: 1384هـ، مكتبة
المطبوعات الإسلامية، حلب، ص13
- ¹¹ عبد الحي، العلامة. الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة. ط: 1405هـ، دار الكتب العلمية،

- بيروت، ص8؛ وانظر: الحسىنى، عبد الحى. الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام. ط: 1999م، دار ابن حزم، 313/7
- ¹² عبد البارى، العلامة: آثار الأول من علماء فرنجى محل. ط: 1321هـ، المطبعة الجتباتية لكتناؤ، ص19
- ¹³ السببوى، محمد. مقدمة كتاب الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة للعلامة عبد الحى. ط: مطبعة "مفيد عام"، لكتناؤ، ص5
- ¹⁴ عبد البارى، قيام الدين. آثار الأول من علماء فرنجى محل (المذكور)، ص7
- ¹⁵ ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ط: 1998م، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 216/4؛ وانظر: الذهبى. سير أعلام النبلاء. ط: 2007م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 322/19؛ وانظر: بردى، ابن ثغرى. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. ط: 2005م، كتاب العربية، 371/5
- ¹⁶ عبد الحى، العلامة. آكام النفائس فى أداء الأذكار بلسان الفارس. ط: 1337هـ، المطبع الیوسفى بلكتناؤ، ص63
- ¹⁷ الكتانى، عبد الحى بن عبد الكبير. فهرس الفهارس. ط: 1982م، دار الغرب الإسلامى، بيروت 729/2
- ¹⁸ عبد الحى، العلامة. مقدمة التعليق المجد على مؤطا الإمام محمد. ط: 1346هـ، المطبع الیوسفى، بلكتناؤ، الهند، ص407
- ¹⁹ السهارنفورى، خليل أحمد. بذل المجهود فى حل أبى داؤد. ط: 1916م، الهند، 110/2؛ وانظر: البنورى، محمد يوسف. معارف السنن. ط: 1413هـ، اىج. اىم سعید، كراتشى، 109/2-110، وانظر: الكاندهلوى، شىخ زکریا. أوجز المسالك. ط: 1999م، دار الكتب العلمية، بيروت، 130/1، و60/8، 40
- ²⁰ مقدمة الشاذلى على مؤطا بن زیاد، ص71
- ²¹ اللكنوى. الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة. تحقيق: أبى غدة، عبد الفتاح. ط3:
- 1384هـ، مكتبة المكتوبات الإسلامية، بيروت، انظر المقدمة، ص7
- ²² عبد الحى، العلامة. الرفع والتكمیل فى الجرح والتعديل. ط: 1383هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بجلب، ص49-50
- ²³ نفس المرجع، ص50

-
- ²⁴ أبو غدة, عبد الفتاح. مقدمة على سباحة الفكر في الجهر بالذكر للعلامة عبد الحي. ط: 1340هـ, المطبع اليوسفي بلكناؤ, الهند, ص5
- ²⁵ القرآن الكريم, سورة الطلاق 65 : 12
- ²⁶ اللكنوي, عبد الحي. ظفر الأمانى في مختصر الجرجانى. ط: 1304هـ, مطبعة جشمه فيض, بلكناؤ, الهند, ص2